الشباب وأشكال العمل الجديد

في السياق الفلسطيني التحرري

معزكراجة

(هذه الورقة مسودة، ليست للنشر أو الاقتباس)

الرعاة:
بنك القدس Quds Bank
شركة خان العمدان للاستثمار السياحي
الدكتور نبيل قدومي
الدكتور محمد مسروجي
مؤسسة الناشر
شركة المشروبات الوطنية NBC

مقدمة

هنالك نمط من العمل الشبابي الجديد، أخذ يتبلور في السنوات الأخيرة، في السياق الفلسطيني القائم، حتى بات ظاهرة ملفته نفترض أن لها دلالاتها الاجتماعية والسياسية، التي سنحاول خلال هذه الورقة تحليلها والوقوف على أبرز معالمها، وسنحاول أيضا قراءة المستقبل أمام هذا العمل الجديد، وعلاقته بالبنية السياسية الاجتماعية القائمة، واحتمالات تأثيره فيها أو تأثره بها، فالجدل بينهما على ما يبدو لا مفر منه، خاصة وأن هذه الظاهرة، أي ظاهرة العمل الجديد، تأتي برأينا كأحد تمظهرات أزمة هذه البنية. انه جدل المركز بالهامش، والهامش بالمركز.

ولكن، رغم افتراضنا بوجود هذه الدلالات ومحاولتنا تحليلها، إلا أننا نقر ومنذ البداية بان هذه المهمة، أي مهمة التصدي لأشكال العمل الشبابي الجديد في السياق الفلسطيني التحرري، بالدراسة والبحث، ليست بالمهمة السهلة على الإطلاق، وذلك لسبب ذاتي يتعلق بطبيعة هذه الظاهرة، ولسبب موضوعي يتعلق بالسياق الفلسطيني نفسه.

عن **السبب الذاتي**، فهذا العمل الجديد مازال طور التبلور والتشكل، وهو حتى الآن، في حدود علمنا وجهدنا الذي بذلناه في البحث فيه، أخذ ثلاثة أشكال، أو لنقل مر بثلاث مراحل سنتطرق لها لاحقا. وبالتالي فان إطلاق الأحكام الواثقة على موضوع مازال ديناميكي، يعد مغامرة، ومما يزيد هذه الصعوبة ويدفعنا لتجنب هذه المغامرة، هو غياب النسق التنظيمي الإداري عن أشكال هذا العمل الشبابي، فهو هلامي يفتقر للهيكلية والقيادة وحتى للأدبيات التي تعرف به. ولكن يمكننا التوصيف وبعض التفسير، خاصة وان هنالك نمط ما حكم تشكل المراحل الثلاث.

أما **السبب الموضوعي**، فيتمثل بالسياق الفلسطيني، فهو سياق هش قابل للتحول والتحول الجذري في أية لحظة. وبما أننا افترضنا منذ البداية بأن هنالك جدل قائم بين البنية السياسية الاجتماعية وهذا العمل الجديد، أو ما بين الهامش والمركز، فان تحولات السياق بالضرورة ستؤثر بالظاهرة التي تتشكل خارج هذا السياق دون أن تكون قد استقلت عنه تماما. ولهذه الأسباب الذاتية والموضوعية فإننا والمؤتمر نسمي هذه الظاهرة " بالعمل الشبابي الجديد" دون إعطائه صفة محددة، كأن نقول الوطني أو الاجتماعي أو التنموي... الخ

بناء على ذلك، فان هذه الورقة ستحاول مناقشة " الشباب وأشكال العمل الجديد في السياق الفلسطيني"، **ضمن ثلاثة محاور رئيسية:**

أولا: التعريف بماهية هذا الفعل الشبابي الجديد.

ثانيا: سياق تاريخي، نتتبع فيه الظروف والتحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الفلسطينية، التي أفضت إلى ظهور هذا الفعل.

ثالثا: مستقبل هذا الفعل الجديد، وعلاقته بالحالة السياسية القائمة ومكوناتها على صعيد السلطة والحزب.

الماهية

هذا العمل الجديد، هو عبارة عن جهد شبابي جماعي تطوعي اختياري، يقوم بالأساس على المبادرة الفردية. وهو جهد شمولي، يهتم بالعمل التطوعي والتعاوني والاجتماعي والثقافي والاقتصادي، كما يهتم بالعمل السياسي. ولذلك فهو نقدي للحالة الفلسطينية الراهنة بشمولية عناصرها هذه، بل أكثر من نقدي، انه يتبلور ويعمل خارج البنية الرسمية.

وحين نقول " عمل جديد"، فنحن لا نتحدث عن مجموعة بعينها، بل هنالك أنماط من هذا العمل ومبادرات مختلفة، تقترب أو تبتعد في اهتماماتها من السياسي على حساب الاجتماعي أو من الثقافي على حساب الاقتصادي، وفقا لسياقها الزمني والجغرافي الذي تشكلت فيه. فهي ظهرت وتتبلور ضمن حدود فلسطين التاريخية. ولذلك أيضا، فهذه المبادرات يمكن وصفها بالوطنية دون الحزبية، بل في واحدة من أسباب تبلورها التي سنتطرق لها لاحقا، جاءت نتيجة تقادم آليات العمل الحزبي وعدم قدرتها على محاكاة تحولات الواقع، وعجز البنية الحزبية ذاتها عن استيعاب هذا الشباب. وهي مبادرات وطنية دون طبقية، لا تقتصر على طبقة بعينها، وان كان معظم المبادرين فيها من أبناء الطبقة الوسطى. وهي أيضا أوسع من التقسيمات الجغرافية أو الديمغرافية، إنها مساحة مشتركة بين المدينة والمخيم والقرية. وهي بمنطق التطوع الخالص الذي يحكم عمل أفرادها، تتجاوز الفردية والذاتية إلى رحابة الجماعة والانتماء لها. إنها بهذه الصفات كلها، تمثل بتبلورها الذي مازال دينيماكيا، إعادة تبلور وصياغة للهوية الوطنية الفلسطينية الجامعة، في وجه كل

تلك الهويات الفرعية التي جاءت كنتاج مباشر للسياسات النيوليبرالية التي سادت وترسخت في السنوات العشرين، بل بدقة أكثر، في السنوات العشر الأخيرة.

وعن منهجية واليات عملها نقول، أنها ليست محكومة بهيكلية، ولا قيادة لها، ولا حتى رؤية مسبقة أو إستراتيجية حاضرة تحكم مضمون وماهية عملها، ولكن في الوقت ذاته، ليست عشوائية أو فوضوية تسير بلا هداية. إنها أقرب لنمط عمل اللجان والاتحادات الشعبية الذي ساد خلال سنوات الانتفاضة الأولى، وكأن هذا الجيل المبادر، استلهم تلك التجربة ناصعة البياض من تاريخنا المعاصر بوعي ناتج عن دراسة وبحث، أو ربما بوعي الفطرة.

وعن هذا الوعي، فهو القاسم المشترك بين اهتمامات وأهداف غالبية هذه المبادرات. وكأن هنالك حاجة يدركها هؤلاء الشباب لإعادة ترميم الوعي الوطني الذي نخرته الواقعية المهزومة. فهي مبادرات تدرك واقعها ولا تجهله أو ترفض الاعتراف بتعقيداته، ولكنها ترفض التعامل معه كقدر محتوم. لذلك جل العمل الشبابي المبذول يذهب نحو الندوات والقراءات الفكرية والتاريخية والسياسية والثقافية والإعلامية. وكأنها تؤسس بذلك لقطيعة معرفية مع الواقع السائد والثقافة التي تحكمه. وهي بفكرها هذا منفتحة على التجربة، تاركة لهما، أي للفكر والتجربة، أن يؤثرا ويتأثرا ببعضهما، ويتطور كل منها بالآخر، وفقا لجدلية النظرية والواقع التي لا مفر منها.

وبالحديث عن الوعي والمعرفة والثقافة السائدة، دعونا هنا نؤكد على سمة مهمة من سمات هذا العمل الجديد، أنه على ما يبدو لنا، **لا يحمل أو يمثل مشروعا سياسيا جديدا،** وربما لا يطمح إلى ذلك، بقدر ما ينقد انحرافات المشروع السياسي الأصلي. إن هذا العمل الشبابي الجديد، **يعمل على بناء وعي موازي للوعي القائم،** بل ويطمح لتفكيك القائم إن استطاع. وبهذا فهو خارج الجدل السياسي القائم حول حل الدولة أو الدولتان، ولا ينتمي له على الإطلاق، وإنما هو أقرب لأبجديات المشروع الوطني الفلسطيني بصيغته الأولى المنبثقة عن منظمة التحرير.

السياق التاريخي

السؤال البديهي الذي لا بد منه حول هذا العمل الشبابي الفلسطيني الجديد، هو السبب أو جملة الأسباب التي أدت إلى ظهوره، وظهوره بهذه السمات، خاصة سمة كونه تبلور خارج البنية. وللإجابة عن هذا السؤال المحوري، لا بد من تتبع سياق تاريخي طويل، بتحولاته السياسة والاقتصادية على وجه التحديد. لاعتقادنا أن هذا السياق بكليته ساهم في هذا الظهور، وليس الحاضر وحده بلحظيته المساهم بذلك. وهنا نقسم هذا السياق التاريخي إلى ثلاث مراحل:

أولا: مرحلة ما قبل " أوسلو":

لم تكن من مساحة عمل يمكن تصورها في العقود الثلاثة الواقعة بين إنشاء منظمة التحرير وتوقيع اتفاقيات أوسلو، خارج حدود المنظمة وأحزابها، وأطر العمل الاجتماعي والثقافي والشبابي والنسوي والعمالي المنبثقة عنها. كان هنالك بنية حزبية وطنية بأذرع عمل شامل المواضيع والقطاعات. وهي، أي هذه البنية وأذرعها تعمل وفق برنامج وطني محل إجماع. بمعنى آخر، كان هنالك قيم ومبادئ ومفاهيم وأهداف واليات عمل، مشتركة بين عموم أبناء الشعب الفلسطيني وتشكيلاته السياسية والاجتماعية.

لذلك، كانت هذه البنية بما تتمتع به من قدرة على تمثيل الكل الفلسطيني والتعبير عن أهدافه وقيمه، قادرة على استقطاب الطاقات والمبادرات المجتمعية والشبابية على وجه الخصوص. بل كانت هي المساحة التي تتبلور فيها هذه المبادرات وأشكال العمل والنضال. لهذا وعودة على أنماط العمل الشبابي الجديد موضوع هذه الورقة، لم تكن لتظهر في هذه المرحلة من السياق التاريخي الذي نتحدث عنه، ولم تكن لتعمل من خارج البنية أو من خارج وعي المرحلة، بل كانت هي عصب هذه البنية وأساسها وباني وعيها. كانت مرحلة انسجام.

ثانيا: مرحلة ما بعد أوسلو وما قبل الانتفاضة الثانية:

بالدخول في مشروع عملية السلام، انفض الإجماع حول المشروع الوطني بصيغته الأصلية، وضعفت البنية السياسية الوطنية الممثلة في منظمة التحرير. وتراجع تدريجيا ولكن بسرعة مذهلة حضور الأحزاب الوطنية، ليس فقط من الفعل النضالي التحرري، وإنما من أشكال العمل الاجتماعي والثقافي أيضا. بمعنى

آخر، بتراجع حضور الحزب السياسي من الفعل الوطني، تراجع حضور كل الأطر الشبابية والعمالية والنسائية والنقابية والثقافية، وبذلك غابت أنماط العمل المرتبطة بهذه الأطر. وبغيابها تفككت المفاهيم والقيم والمبادئ التي لم تكن نتاج وعي مجرد، بقدر ما كانت وعي يوازي الفعل. وكأن الحال هنا يؤكد لنا **جدلية الوعي بالفعل**، أو لنقل بكلمات أخرى، **بأن الفاعل هو القادر على صياغة الوعي، وليس المنظر الغائب عن الميدان.**

ولكن، هل هذا **التراجع لحضور الفعل وتفكك الوعي**، يعني أن حالة **فراغ سادت**، وبالتالي سمحت لظهور أنماط عمل جديدة، على اعتبار أن الطبيعة تكره الفراغ؟؟ إن هذا الفراغ لم يحصل أصلا، لان هنالك من قام بملئه سريعا، وكأن الانتقال من مرحلة إلى أخرى تم ميكانيكيا. والفاعل هذه المرة، والذي قام بصياغة وعي جديد يتناسب مع مرحلته وفعله، هو المؤسسات الأهلية، NGOS تحديدا. حيث أن طبيعة المرحلة الجديدة المنبثقة عن " مشروع السلام"، أي مرحلة الانتقال من " الثورة إلى الدولة"، فرضت فاعلا جديدا بوعي جديد. لذلك غابت مفاهيم الثورة والتحرير والنضال والفدائي، وحلت مفاهيم التنمية والبناء والدولة والديمقراطية وحقوق الإنسان والناشط والخبير، وهي مفاهيم لها آليات عمل خاصة بها لا تنتمي لآليات العمل السابقة ولا لأطرها الشعبية والتعاونية.

هنالك عوامل كثيرة ساهمت في هذا **الانتقال بشكل مكيانيكي** رغم جوهرية وجذرية مضمونه، وهذه الورقة ليست محلا كافيا للتطرق لها بالتفصيل، ولكن نقول سريعا: أنه ورغم الانقسام حول مشروع السلام والسلطة الفلسطينية، إلا أن حالة من الترقب والانتظار سادت أوساط الفلسطينيين –حتى المعارضين منهم– لما يمكن أن يتمخض عن هذا المشروع، وكان لشخص ياسر عرفات وكاريزميته والثقة الشعبية به دورا رئيسيا في تحقيق هذا الانتقال السلس. بالتالي بات **العمل الأهلي** ومؤسساته، هو الساحة البديلة والجديدة لاستقطاب الشباب ولتبلور أنماط العمل، وباتت مفاهيمه التي تنتمي لمرحلة الدولة، هي عناصر الوعي الجديد. انه وعي ما بعد الثورة. بكلمات أخرى، ظهرت بنية جديدة بمشروع جديد بساحة عمل جديدة باليات عمل جديدة، وهي بنية لها وعيها الجديد، وان لم تتمتع بالإجماع الذي تمتعت به البنية السابقة، أي بنية المنظمة، إلا أنها شكلت بديلا قادرا على الاستقطاب.

لم تشكل الانتفاضة الثانية بحد ذاتها مرحلة، وإنما جاءت لتمثل فيما بعد ممرا لعبورنا من المرحلة الثانية إلى المرحلة الثالثة والأخيرة في هذا السياق التاريخي، الذي ساعد على ظهور أنماط العمل الشبابي الحالية.

إذ أن ما بعد هذه الانتفاضة لم ولن يشبه ما قبلها. فقد خرجنا منها بنتائج جديدة وقناعات جديدة وسياسات جديدة وفواعل جديدة ومفاهيم جديدة. حيث غاب عن المشهد السياسي الفلسطيني أسماء ورموز قيادية من الوزن الثقيل، منهم ياسر عرفات وأبو علي مصطفى وعبد العزيز الرنتيسي وغيرهم. وهو ما يعني أن **تحولات ما لا بد وأن تعتري المرحلة الجديدة على صعيد العمل الوطني والسياسي الرسمي**. ومن جهة أخرى، باتت حالة الترقب لنتائج مشروع السلام **أكثر وضوحا**، إذ تراجعت كثيرا الثقة بما يمكن أن يحققه هذا المشروع على صعيد القضية الوطنية، وهنا **وقع الانفصال ما بين العمل الوطني والسياسي**، فلم يعد الفلسطيني ينتظر نتائج على صعيد قضيته، بقدر ما ينتظر ويمارس عملا سياسيا في حدود إدارة حياته اليومية والمعيشية. وبفعل تحولات إقليمية وعالمية، وبتراجع ثقل القضية الوطنية نفسها على المستوى الدولي، إلى جانب عوامل أخرى كثيرة ساهمت مجتمعة بتراجع حضور وثقل المؤسسات الأهلية، والأهم تراجع الثقة بخطابها وبكثير من مفاهيمها التي صاغت وعي ما بعد الثورة وما قبل الدولة. تلك الدولة التي لم تأت.

لكم أن تتخيلوا أثر موقف الاتحاد الأوروبي وأمريكا وغيرهم من دول الغرب الديمقراطي وراعي حقوق الإنسان على مستوى العالم، من نتائج الانتخابات التشريعية عام 2006، ورفضه لها وفرضه الحصار المتمثل بقطع رواتب الموظفين. لكم أن تتخيلوا معنى ضياع جهود التنمية والبناء والتعمير وبناء المؤسسات طوال سنوات، بمجرد ساعات من قصف الاحتلال. جهد السنوات يضيع بساعات. تخيلوا أيضا معنى أن ينتهي الأمل العريض بخيبة كبيرة. هذه كلها أحداث ومواقف دفعت باتجاه **التخلص من وعي المرحلة الثانية**، أو على الأقل ساهمت في فقدانه لقدر كبير من الشرعية. وهي ذات الأحداث والمواقف التي ساهمت إلى جانب عوامل أخرى لم نوردها بعد، في صياغة الوعي الجديد الذي يقف خلف ظهور وتبلور أنماط العمل الشبابي الجديد في السياق التحرري. يمكننا هنا وصف هذا **الوعي بالعودة إلى الذات**. انه وعي من جديد بحقيقة وماهية وحجم البنية الكولونيالية ومدى تحكمها بمصيرنا، انه وعي في سياق تحرري، وليس وعيا في سياق وهم.

ربما منكم من يقول أن هذا الوصف مبالغ فيه، وبأن الواقع خارج هذه القاعة ليس على هذه الصورة. ولكن أعود لأذكر بأنني أتحدث عن هامش يتشكل، هامش لا يكاد يذكر مقارنة بحجم ودور وثقل المركز المتشكل والسائد. ولكن الهامش هذا، نعم انه على هذه الحالة من الايجابية. ويبقى السؤال هنا مفتوحا على صيرورة

الجدل بين الهامش والمركز، هل تنضج هذه العلاقة الجدلية وتفضي لواقع مختلف؟ انه سؤال برهن المستقبل، سنغامر بمناقشته في نهاية هذه الورقة.

ولكن أعود لاستكمال سرد السياق التاريخي، حيث أن انفصال السياسي عن الوطني، وتراجع الثقة بالخطاب الذي ساد في المرحلة الثانية، خطاب الدولة والتنمية والديمقراطية، والانقسام على المنقسم عليه أصلا، وغياب الحضور التاريخي لرموز وطنية، كلها ساهمت في وصولنا إلى المرحلة الثالثة، وهي ما نسميها مرحلة " الفراغ السياسي".

ثالثا: مرحلة الفراغ السياسي

كان لا بد لانفصال الوطني عن السياسي تحديدا، وانتهاء أو تراجع حالة الترقب لما يمكن لمشروع السلام أن يحققه وطنيا، وحالة الفوضى التي ميزت الانتفاضة الثانية، وغياب شخصيات وطنية مركزية عن المشهد السياسي الفلسطيني، والانقسام الذي أعقب الانتخابات التشريعية الثانية، أن يفسح المجال واسعا أمام ظهور **عامل وفاعل جديد**، أو لنقل ظهوره بوضوح شديد، وهو " **السياسيات الاقتصادية النيوليبرالية**"، التي ستصبح عنوانا وميزة للمرحلة الحالية والتي نسميها مرحلة " الفراغ السياسي". وكأن ظهور العنوان الاقتصادي المتمثل في هذه النيوليبرالية، جاء بديلا لتراجع الوطني وانفصاله عن السياسي.

هذه السياسات النيوليبرالية ليست فقط نتيجة، وإنما هي أيضا سبب في تعميق حالة الفراغ الذي نتحدث عنه. إذ أن التفاوتات الطبقية وأنماط المعيشة الجديدة التي ظهرت، وخاصة في مركز ومصدر هذه السياسات وهي مدينة رام الله، ساهم في تعميق ثقافة الفردانية والخلاص الفردي. وهي النيوليبرالية التي فرضت نفسها أيضا وبثت روحها في مختلف أشكال وأنماط العمل والنشاط، من ثقافة وفن وأدب وتجارة وسياسة، وحتى فرضت نفسها على نمط العلاقات الاجتماعية.

في هذه المرحلة، مرحلة الفراغ، **لم يعد ممكنا تناول مفهوم البنية السياسية الاجتماعية، بنفس تناوله في المرحلتين الأولى والثانية**، أي مرحلة منظمة التحرير ومرحلة ما قبل الانتفاضة الثانية، وإنما يمكن الحديث أكثر عن مركز اقتصادي نيوليبرالي تدور حوله بقية أشكال وأنماط العمل، حتى السياسي منه. وهو ما ساهم في ظهور الخطاب النخبوي، والفن النخبوي، والثقافة النخبوية، وظهور السلوك النخبوي، حتى التمركز

الجغرافي النخبوي. إنها النخبوية العازلة لنفسها بل والمترفعة عن محيط وخطاب وسلوك ونمط حياة القاعدة الشعبية. إنها النخبوية التي قامت ب " تشييء" الحالة الفلسطينية والإنسان الفلسطيني وتحويلهما لمجرد موضوع للبحث والدراسة وإبداء الرأي. وهذا ال" تشييء" الذي خلقته روح النيوليبرالية، أنتج ما يمكن تسميته بظاهرة " الأنسنه". هذه الأنسنه هي المنظار والرؤية وأداة التحليل الجديدة التي بات من خلالها يرى النخبويون، الحق الوطني والعمل الثقافي والفني وحتى الحالة الاقتصادية التي تعيشها القاعدة الشعبية.

أنماط العمل الشبابي الجديدة، **وليدة هذا الفراغ السياسي**، ووليدة هذا التحول في **المفهوم والخطاب**، ووليدة هذا الغياب للانسجام الاجتماعي، وهي رد فعل عليه، وناقدة له ورافضه وجوده. وربما لسخرية القدر أو لنقل لمنطق التاريخ، أن هذه الأنماط التي نتحدث عنها، ولدت بالأساس في ذروة بروز هذه النيوليبرالية وفي مركزها المحلي، وكأن حالها في هذا السياق ينطبق عليه وصف أو مفهوم ماركس المسمى " أداة التاريخ غير الواعية". فهي، أي النيوليبرالية، حين تفتك وتهدم بنية ما، تكون قد حولت نفسها بغير وعي لأداة تسهم في توفير الظروف المناسبة لهذه البنية لتجدد نفسها وتثور.

وهنا بات بإمكاننا الحديث عن أنماط هذا العمل الجديد في **سياق الحاضر**، بعد أن استعرضنا مساهمة سياق التاريخ في تشكلها وإنضاجها ورسم ملامحها وبعض سماتها. ويمكننا المجازفة بالتأريخ لظهور هذه الأنماط **بالعام 2011**. حيث جاء ما سمي حينها بالربيع العربي ليكن سببا مباشرا في انطلاقها. نقول سببا في انطلاقها وليس في تشكلها، هذا التشكل الذي هو في صيرورة لم تنتهي بعد. واعتبارنا 2011 كتاريخ محوري في هذا الانطلاق لا ينفي ولا يغفل أنه قبل ذلك، وتحديدا في العام 2008 الذي شهد العدوان الكبير على قطاع غزة، كانت قد بدأت بوادر لعمل شبابي جماعي بالظهور، خاصة على صعيد التضامن مع القطاع والمطالبات بإنهاء الحصار والانقسام.

منذ العام 2011 ظهرت ثلاثة أنماط عمل شبابي، وهي:

- أولا: نمط ظهر بتأثر مباشر بالثورة في كل من تونس ومصر، فقد شكل ظهور شعار " الشعب يريد إسقاط النظام" في هذين البلدين، والسرعة التي تحقق فيها مضمون هذا الشعار، وظهور الشباب بالدرجة الأولى كفاعل ومسؤول مباشر عن تحقيقه، سببا في انتشاره والتقاط الشباب له في بلاد عربية أخرى كثيرة، حيث رفع في لبنان على سبيل المثال " الشعب يرد إسقاط النظام الطائفي". وفي الضفة الغربية وقطاع غزة رفع شعار " الشعب يريد إنهاء الانقسام"، وحتى هنالك من رفع شعار " يلا ننهي الاحتلال".

وقد ترجمت هذه الشعارات بتحرك كبير سمي أو عرف ب " **تحرك 15 آذار**"، إذ انخرط آلاف من الفلسطينيين حسب التقديرات التي سادت آنذاك، في حملة نزلت إلى الشوارع، بعد أن تم تنظيمها والدعوة لها عبر " الفيسبوك "، للمطالبة بإنهاء الانقسام، وللتعبير عن سخطهم على الحال الفلسطيني الداخلي. ولكن سرعان ما انتهى هذا الحراك دون تحقيق أهدافه. وباعتقادنا أن أسباب الفشل أولا **ذاتية** تتمثل في كيفية تبلوره، فهو جاء عفويا متأثرا بالحالة العربية، محاولا تقليدها، متلهفا أو متوقعا أن يحقق أهدافه بذات الطريقة وبنفس السرعة. وربما لتبلوره عبر العالم الافتراضي وانتقاله السريع إلى الميدان، دون توفر عمق التواصل والمعرفة والتنظيم بين الفاعلين في هذا الحراك، دور رئيسي في هذا الفشل. كذلك هنالك سبب **موضوعي** هام يتمثل في انحراف وفشل الربيع العربي نفسه الذي كان ملهما، وغياب الشباب عنه، ودخوله في حالة من العسكرة، مما كان له أثرا معنويا سلبيا ساهم في إنهاء الأمل العريض الذي دفع " 15 آذار" للنزول إلى الميدان.

- ثانيا: رغم هذا الفشل، فقد **ساهمت هذه التجربة**، كما ساهمت تجربة الثورة التونسية المصرية، في فتح الطريق دائما أمام الميدان، حيث ظهر في الضفة الغربية نمط العمل المرتبط بقضية أو مطلب محدد، ينفض القائمون عليها بانتهاء القضية نفسها أو بتحقيق المطلب منها، ومن أبرز أشكال هذا العمل هو حملة " الضمان الاجتماعي" و الحملة المطلبية لمعلمين المدارس، وهذا نمط لا يقتصر على الشباب بقدر ما يتحدد الفاعل فيه بالقضية نفسها.

- أما نمط العمل الثالث، والذي جاء **ثمرة كل تلك التحولات والعوامل التي سبق ذكرها**، وهو موضوع ورقتنا بالأساس، وينطبق عليه تحديدا التعريف الذي أوردناه في البداية، وهو نمط العمل الشبابي الجماعي التطوعي الاختياري الشمولي، ويقوم على المبادرة الفردية، ويهتم **بإعادة تشكيل الوعي الوطني** بشكل خاص. وعلينا هنا التوضيح بأن آلية عمل هذا النمط جاءت بشكل مباشر متأثرة بفشل آلية عمل النمط الأول الذي ذكرناه، وهو العفوي المقلد المتلهف لتحقيق أهداف سريعة. وكأن القائمين على النمط الأخير هذا لديهم الإدراك الكافي لتعقيدات الواقع الفلسطيني وعمق وشمولية أزمته، وبأثر العقدين الماضيين عليه، وتشابك السياسي بالاقتصادي بالاجتماعي بالثقافي، فجاء عملهم قائما على تفكيك الثقافة السائدة، ومحاولة بناء ثقافة ومعرفة موازية أو حتى بديلة للسائد.

جوهر هذه **الثقافة البديلة** التي يؤسس لها هذا النمط من العمل الشبابي، يقوم على ربط الوطني بكل أشكال العمل والمعرفة. أنه يعيد **بوعي مسبق**، مركزية الوطني كمنطلق ورؤية للعمل الاجتماعي والثقافي والسياسي، ويعيد بالوعي المسبق ذاته، ربط منطلقات هذا العمل بالميدان. وهو بهذا الربط ما بين الوطني ومنطلقات العمل، وما بين العمل والميدان، يعيد تلقائيا تشكيل قيم جديدة تراجعت، بل واندثرت خلال السنوات الماضية أمام خطاب الدولة والتنمية وسياسات النيوليبرالية. فهو يعمل بالتجربة العملية على تفكيك "ثقافة التمويل"، وإعادة بناء ثقافة اعتمادية الفلسطيني على نفسه وقدراته ومقدراته، على اعتبار أن هذه الاعتمادية لا مفر منها في سياق تحرري.

هذا النمط من العمل، بات اليوم يشكل إطارا جديدا أو بديلا للشباب الفلسطيني، ويبلور في داخله قياداته ونماذجه الخاصة التي بدأت تكون محط إعجاب واهتمام هذا الجيل. انه مرحلة قائمة بذاتها، لها فعلها والياتها والاهم أن لها وعيها الخاص والمناقض والناقد للوعي السائد. نمط عمل جديد يؤسس لقطيعة معرفية مع المرحلة الحالية المهيمنة.

التأسيس لهذه القطيعة لا بد وأن يطرح سؤالا حول علاقة هذا النمط بالبنية السياسية القائمة على صعيد الحزب والسلطة معا. **هل هو بديل قادم؟** أو على الأقل نقيض قادم لا بد وان يصطدم بهيمنة هذه البنية؟

الإجابة حول إن كان بديلا قادما، تكمن في طبيعة هذا النمط ذاته. فهو كنمط عمل تطوعي طوعي يقوم على المبادرة الفردية، وهلامي لا يسعى لهيكلة نفسه ولا يريدها، من الصعب أن يشكل في سياق تحرري بديلا للحزب السياسي، على اعتبار أن العمل الوطني وخاصة النضالي منه، يحتاج للمركزانية الحزبية واليات عملها المختلفة تماما. وباعتقادنا، انه لا يسعى أصلا ليكون بديلا بالمعنى السياسي. ولكنه يسعى لأن يكون وعيا بديلا للوعي القائم، وكأنه هنا يراهن على الوعي أن ينتج تجربته السياسية الخاصة. لذلك علينا أن لا نحصر هذا النمط من العمل في الفضاء السياسي، ولا نثقله بهذه الأسئلة النمطية. فالأهم من ذلك هو أن تعيد البنية السياسية الرسمية القائمة، قراءتها لنفسها ولخطابها وسياساتها، من خلال فهم هذا التوجه الشبابي البعيد عن مركزانيتها.